

العلاقات الدولية في الإسلام



# العلاقات الدولية في الإسلام

الأستاذ الدكتور  
وهبة الزحيلي

دارالمكيني

الطبعة الأولى  
1420هـ - 2000م

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا  
ص. ب. ٣١٤٢٦ هاتف ٢٢٤٨٤٣٣ فاكس ٢٢٤٨٤٣٢

دار المكتبي  
للطباعة والنشر والتوزيع

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تقديم

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وبعد :  
لا يمكن بحال من الأحوال في القديم والحديث عزل المجتمعات بعضها عن بعض ، لأن الإنسان مدني بالطبع ، ويحتاج إلى التعاون مع غيره ، في داخل مجتمعه وخارجه ، ولأن مصالح الأمم والشعوب بحاجة إلى التبادل والتعاون والتنمية .

وكلما تقدمت المجتمعات وازدهرت ، أصبحت بالضرورة مقبلة على مدّ جسور اللقاء ، وإقامة معابر التسهيلات في تحركات رعاياها ورعايا غيرها ، لتحقيق أغراض متعددة سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية وعلمية وغيرها .

وتشابكت العلاقات الدولية في العصر الحاضر ، وتطورت تطوراً كبيراً ، وأصبحت سهولة المواصلات ووسائل الاتصال السريع المباشرة تقربّ البعيد ، وثبت فعلاً أن الأرض عالم صغير ، وكوكب يتنقل عليه سكانه بسرعة فائقة .

وأدى هذا التشابك في العلاقات الخارجية إلى الحاجة إلى مزيد من الدراسة والتحليل والتقصيد والضبط ، وإبداء وجهات النظر المختلفة

للتوصل في النهاية إلى أفضل وأعدل الأنظمة والقواعد ، وإقامة المجتمع الإنساني الفاضل .

ولم يكن المسلمون منذ بزوغ فجر الدعوة الإسلامية بمنأى عن هذا الاتجاه ، وتنمية العلاقات مع الآخرين لسببين : عدواني حربي ، وسلمي حضاري . أما العدوان فقد تورط فيه الآخرون ، وفرضه غير المسلمين على الأمة الإسلامية في أدوار أو مراحل التاريخ المختلفة ، وإلى يومنا الحاضر . أما السلم والحضارة والاستقرار للعالم كله فهو ما ينشده التشريع الإسلامي والمسلمون معاً ، لأن دعوة الإسلام ذات نزعة عالمية ، ويلزم المسلمون بتبليغها لكل أنحاء العالم في المشارق والمغارب ، مما يوجب الدخول في علاقات طيبة ، وحسن جوار ، لتحقيق هدف إبلاغ الدعوة الإسلامية ، والتعريف بأصول الحضارة الإسلامية ، وبأن المسلم قدوة عالمية ، والمجتمع المنشود مجتمع فاضل . وقد حرص العلماء المسلمون على إقرار الصعيد السلمي للعلاقات مع غير المسلمين بالمعاهدات السلمية وغيرها ، ولم يعكر صفو هذه العلاقات إلا الأحقاد والمطامع والعصبيية الدينية من غير المسلمين على المسلمين أنفسهم .

ونحن اليوم في العالم مهد النبوت والحضارات ، مازلنا نعاني من تشنجات ومكائد ومؤامرات الشعوب والدول الأخرى ضدنا ، وتركز ذلك فيما يسمى بالنظام العالمي الجديد ، بعد انهيار الاتحاد السوفياتي والمعسكر الاشتراكي ، وسقوط الشيوعية وهزيمتها على أرض الواقع سنة ١٩٨٩ ، وتوالى الإعلانات الرسمية والتصريحات من كبار المسؤولين في أوروبا وأمريكا ، ورددتها الإذاعات ، والصحف العالمية ، أنه لم يبق بعد سقوط الشيوعية أو الاشتراكية إلا الإسلام بصفته عنصر مواجهة وتخطيط له ، لإضعافه أو إبعاده عن الساحة

الدولية بمختلف الوسائل . وما المحاولات السلمية في الشرق الأوسط إلا مقدمة لفرض التفوق والنفوذ الإسرائيلي في المنطقة وخدمة المصالح الاستعمارية ، سواء في فلسطين ، أو في منطقة الخليج - حرب ١٩٩٠ ، ومحاولات إيجاد منطقة حظر عسكري عام ١٩٩٤ جنوب العراق . وكذلك الوضع في البوسنة والهرسك أو كوسوفو المقاطعة الألبانية ، أو في الجزائر ، من أجل رفض السماح بإقامة دولة إسلامية في قلب أوروبا ، أو بجوار أوروبا ، وسكوت الأمم المتحدة بزعامة أمريكا عن تسليح إسرائيل بالأسلحة الذرية الرهيب ، وتفتيش أراضي العراق عن الأسلحة الجرثومية والذرية والكميائية ، وغير ذلك من الأمثلة التي تدين النظام العالمي الجديد .

وهذا كله يجعلني أختار بحث : « مجالات العلاقات الدولية في الإسلام » في محورين :

أ- المجال السلمي « السياسي والاقتصادي . . . » .

ب - المجال الحربي .

لأنه - أي الثاني - مهد تلك العلاقات الخارجية ، ومنطلق التحركات المرية مع الأسف الشديد في السياسة الغربية وقرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن نحو العالم الإسلامي .

فأين نحن أمام هذا التوجه الجديد؟ وما حقيقة الوضع أو الحكم على هذه العلاقات ، من خلال التشريع الإسلامي وتصورات علماء الإسلام؟

\* \* \*



## أفق العلاقات الدولية في الإسلام

إن جوهر دعوة الإسلام العامة يتمثل في العناية بأمرين أساسيين ، هما : إعمار الكون أو تقدم الحضارة ، والعناية بالإنسان باعتباره حجر الزاوية في الوحدة الإنسانية الكبرى ، وليس المسلم فحسب ، والتفاعل قائم بين الأمرين ، لأن العلاقات الإنسانية لا تقوم على نحو سليم إلا في وسط حضاري ، يقدر وجود الإنسان وقيمته ، من حيث هو إنسان ، له كرامة وله حقوق على غيره ، وواجبات نحو الآخرين .

أما إعمار الكون أو تقدم الحضارة والمدنية : فهو الغاية من خلق الإنسان ، ولا تتحقق هذه الغاية إلا بالعمل الدائب ، والفكر الهادئ ، والعقل المنظم ، لذا كان الأمر القرآني عاماً لكل الناس :

﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة : ١٠٥] .

أما العناية بالإنسان بتصحيح عقيدته ، وإيقاظ ضميره ووجدانه ، والتركيز على إبعاده في عالم الدنيا والآخرة ، فلأنه صنَّع الله الذي أتقن كل شيء ، ولأنه الخليفة في الأرض .

والخليفة مستأمن على القيام بواجبات الخلافة ، والرقي بالحياة ، فقال الله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة : ٣٠] .

﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾

[النور : ٥٥] .

وهذا الخليفة مكرم عند الله وعند الناس ، لذا قال سبحانه :  
﴿ وَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ  
وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء : ٧٠] .

ومن أجل تنمية العلاقات الإنسانية على أحسن وجه ، أكدت  
التعاليم الإسلامية على عناصر الأخوة والمساواة والاحترام المتبادل ،  
ودعت هذه التعاليم إلى حوار متواصل قائم على الثقة ، والمحبة ،  
والتعاون ، ونشذان الخير والسعادة ، والحرص على إقامة سلام عام  
ينعم فيه الجميع بنعمة الحرية ، وترك الناس أحراراً فيما يختارون ،  
ولكن في مظلة العدل والإنصاف ، ومحاربة الظلم والجور .

\* \* \*

## المجال العلمي

السلم والاستقرار أساس كل تقدم حقيقي ورخاء في العالم ، وعلى أرضيته تنمو العلاقات الطيبة بين أفراد المجتمع الإنساني ، والإسلام أحرص الأنظمة في العالم على إقامة سلم وطيد قائم على الحق والعدل . وآفاق السلم كثيرة ، منها :

### أ- المجال السياسي :

السياسة نوعان : عادلة وظالمة ، أما السياسة الظالمة : فلا ثوابت فيها ، والغاية تبرر الوساطة ، والنفعية أو المصلحة توجهها وتسيطر على مجالاتها . أما السياسة العادلة فتحكمها المبادئ الدينية والأخلاقية ، لحد كبير . وبما أن الإسلام مبادئ وله غايات إنسانية وإصلاحية محضة ، فعلم السياسة فيه ينبع من قيم معينة ، ويهدف لتحقيق مقاصد سامية ، مع مراعاة المصلحة التي يترتب على عدم تحقيقها تهديد وجود الأمة أو الدولة أو البلاد أو الاعتداء على حرمان الدعوة الإسلامية التي يراد انتشارها في العالم ، أو على الدعاة المسلمين .

ولقد كانت السياسة الإسلامية في عهودها المختلفة تنبع من هذه المبادئ ، وكانت العلاقات السياسية ملازمة لوجود الدولة الإسلامية في عهدها الأول في المدينة المنورة ، وبدأت هذه العلاقات بنجاح باهر سواء بين المسلمين وأمراء العرب في الجزيرة العربية ، أو بين

المسلمين وغير العرب من الفرس والرومان وغيرهم . ونشطت علاقات مع ملك الحبشة وقيصصر ملك الروم وكسرى ملك الفرس وعزيز مصر وغيرهم من الأمراء والملوك في صدر الإسلام . ففي سنة ست هجرية بعد عمرة الحديبية ، أرسل النبي ﷺ كتباً وسفراء على رأس بعثات سياسية ذات صفة دينية ، لأن القرون الوسطى اتسمت بأنها عصور الدين ، فبعث عليه السلام كتباً إلى قيصر الروم ، وآخر إلى كسرى الفرس . وثالثاً إلى المقوقس عظيم القبط في مصر . ورابعاً إلى النجاشي ملك الحبشة ، وخامساً إلى المنذر الغساني في الشام ، ثم إلى غيرهم من الملوك والأمراء كالمنذر بن ساوى في البحرين ، وإلى ملوك اليمن وعمان<sup>(١)</sup> وموضوع هذه الكتب واحد يتلخص في الدعوة إلى الإسلام .

وكانت المعاهدات أحياناً تدعم قبول دعوة الإسلام ، كبيعات العقبة مع أهل المدينة ، التي كانت نواة الدولة الإسلامية في المستقبل بعد الهجرة . وعبرت هذه الكتب والمعاهدات عن روح العلاقات السياسية بين المسلمين وغيرهم من الروم والفرس والحبشة والغساسنة وأهل البحرين واليمن ونجران وحضرموت ومهرة . وكان الرسول ﷺ يقبل هدايا الأمراء أو الملوك ، مثل قبوله هدية المقوقس عظيم مصر .

وتعتمد السياسة الإسلامية المتفتحة حتى في ديار الإسلام مع غير المسلمين على المبدأ القرآني :

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ اتَّبِعْهُ مَأْمُورًا ﴾ [التوبة : ٦] .

(١) السيرة الحلبية ٣/ ٢٧٢ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، تاريخ الطبري ٣/ ١٠٢ .

قال ابن كثير : والغرض أن من قدم من دار الحرب إلى دار الإسلام في أداء رسالة أو تجارة ، أو طلب صلح ، أو مهادنة ، أو حمل جزية أو نحو ذلك من الأسباب ، وطلب من الإمام أو نائبه أماناً ، أعطي أماناً ، مادام متردداً في دار الإسلام ، وحتى يرجع إلى داره ومأمنه ووطنه<sup>(١)</sup> .

وسار خلفاء المسلمين الراشدين والأمويين والعباسيين والأمويين في الأندلس والعثمانيين في سياستهم على النهج النبوي ، مثل المكاتبات التي حدثت بين عمر وهرقل ، وتبادلا الهدايا ، وكانت الرسل تتردد بينهما .

وفي العهد الأموي : وجدت معاهدات ومكاتبات بين المسلمين وغيرهم ، ففي عهد معاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الأموية ، كانت أغلب مناطق أرمينية شمال بلاد الشام تعتمد في ولائها للعرب المسلمين على معاهدات الأمان<sup>(٢)</sup> . وعقد معاوية - أثناء الفتنة الإسلامية الداخلية - هدنة مع الإمبراطور البيزنطي ( الرومي المسيحي ) قنسطانز الثاني قبل اشتباكه مع علي رضي الله عنه سنة ٣٦هـ / ٦٥٦ م . وعقد أيضاً صلحاً مع الروم في أول خلافته يعتبر امتداداً للصلح الأول سنة ٤٢هـ / ٦٢٢ م ، كما صالح الجراجمة الجبلية شمال سوريا ودفع لهم أتاوة<sup>(٣)</sup> . وكذلك فعل الخليفة عبد الملك بن مروان مع البيزنطيين ( الروم ) حينما كان مشغولاً بتأديب الثوار في العراق ، فقد بعث في

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣٣٧/٢ ، ط البابي الحلبي .

(٢) فتوح البلدان للبلاذري ص ١٩٧ .

(٣) المرجع السابق : ص ١٥٩ وما بعدها ، رسل الملوك لابن الفراء : ص ١٥٢ .

أول خلافته بالأموال والهدايا إلى ملك الروم جستنيان الثاني (٦٨٥-٦٩٥ م) وصالح الجراجحة ، ودفع لهم أتاوة أسبوعية ، ورد إليهم أسراهم ، كما فعل من قبل . وفي سنة ٧٠هـ / ٦٨٩ م جدد عبد الملك الهدنة مع الامبراطور جستنيان الثاني .

وفي عهد الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز : حدثت مفاوضات بين بيزنطة والعرب للبحث في مسألة فداء الأسرى ، وكتب عمر رضي الله عنه إلى ملوك ما وراء النهر وملوك السند يدعوهم إلى الإسلام ، فأسلم بعضهم .

ويمكن القول : إن الدبلوماسية في عصر النبي ﷺ والخلفاء الراشدين والعصر الأموي استخدمت بقصد الدعوة إلى الدين الجديد ، وإعلان الحرب دفاعاً عن حرمانه وبلاده ، والتمكين له بعقد المعاهدات مع ممثلي الأمصار والمدن المفتوحة<sup>(١)</sup> .

وفي العصر العباسي في الشرق والأندلس : كانت العلاقات السياسية بين المسلمين وغيرهم على النهج الإسلامي الأول ، ونمت هذه العلاقات وتقرّرت حينما دخل الخلفاء المسلمون في علاقات سياسية مهمة مع البيزنطيين ، ابتدأت منذ عام ٧٦٥ م مع الخليفة المنصور ، فكان المبعوثون السياسيون على تبادل مستمر في البلاد المسيحية ، لا من أجل توقيع معاهدات صلح أو سلم فقط ، ولكن أيضاً لتبادل الهدايا وأسرى الحرب ، ومن أجل مصالحتات مختلفة ، أو لتسهيل التبادل التجاري ، وأرسل هذا الخليفة إلى « بين » سيد بلاط الفرنجة سفارة لعقد معاهدة صداقة وتحالف بينهما ، لإرهاب الإمارة الأموية

---

(١) آثار الحرب في الفقه الإسلامي للدكتور وهبة الزحيلي : ص ٣٣٠ .

بالأندلس . وتابع المهدي بن المنصور وهارون الرشيد بن المهدي سياسة إيفاد السفارات إلى بلاط الفرنجة لتدعيم التحالف بين العباسيين والفرنجة ، لاستمرار تخويف إمارة الأمويين من الخطر الفرنجي على أطراف بلادها . وبلغ النشاط الدبلوماسي العباسي ذروته مع الفرنجة حين بعث هارون الرشيد بسفارته المشهورة إلى الإمبراطور شارلمان ، وتم تبادل الهدايا بينهما وإرسال المبعوثين والرسائل ، منذ عام ٧٩٧م ، وعقدت بينهما محادثات ودية<sup>(١)</sup> .

ولم تعد الخلافة العباسية في بغداد ترسل سفاراتها إلى القسطنطينية فحسب ، وإنما بدأت تبعث سفاراتها كذلك إلى بلاط الفرنجة في أوروبا ، لتجعل من تلك القوة الجديدة سنداً لها في منافستها للأمويين في الأندلس ، وشجع الوضع الجغرافي للفرنجة على تقرب العباسيين لهم ، لأن بلاد الغال (فرنسا) التي يشغلونها تجاوز مباشرة حدود إمارة الأمويين بالأندلس عند جبال البرانس . وفي نفس الوقت ، لم يعد الروم يرسلون سفاراتهم إلى بغداد فحسب ، وإنما أوفدوا سفراءهم إلى قرطبة ، ليجعلوا من أمرائها عضداً لهم في تهديد الفرنجة<sup>(٢)</sup> .

وفي الوقت نفسه الذي سعى فيه العباسيون إلى التقرب من دولة الفرنجة المسيحية ، ظهر محور سياسي آخر ، حين أخذ أباطرة الروم بدورهم يتصلون بأمرأى بني أمية بالأندلس ليجعلوا منهم حليفاً ضد خطر الفرنجة المتزايد . وترتب على تطور الأوضاع السياسية بذلك ظهور غرب أوروبا في ميدان النشاط الدبلوماسي الإسلامي ، وغدت القوات

---

(١) رسل الملوك : ص ١٠٦ ، ١٥٥ وما بعدها .

(٢) السفارات الإسلامية إلى أوروبا في العصور الوسطى ، للدكتور إبراهيم العدوي :

ص ١١ .

الأوروبية محط أنظار السفارات الإسلامية . وأدى تنافس القوى الأربعة واختلاف مطالبها إلى ظهور نشاط سياسي حافل في العصور الوسطى ، كان للدولة الإسلامية فيه نصيب وافر ، فخرجت السفارات الإسلامية من بغداد إلى القسطنطينية وإلى إكس لا شابل النائية ، كما خرجت السفارات من قرطبة إلى بلاط الفرنجة والروم ، وفيما بعد إلى الجزر البريطانية<sup>(١)</sup> .

وحدثت مكاتبات سياسية بين المأمون وملك الروم توفيل ، تدل على احتفاظ السلطنة المسلمة باعتزازها بالدين والدعوة له أولاً بطريق سلمي .

وجرى الفاطميون والمماليك على سنة العباسيين ، حتى وصلت بعوثهم السياسية إلى أوروبا وآسيا الوسطى والشرقية<sup>(٢)</sup> .

#### والخلاصة :

اتخذت الدبلوماسية في العصر العباسي وسيلة لتسهيل التبادل الودي بين الشعوب والأمم الأخرى ، ولتوثيق الصلات التجارية والثقافية ، وتبادل الأسرى ، وفض المنازعات ، وعقد المعاهدات .

وفي الحروب الصليبية : وجدت صلات سياسية مهمة بين الشرق والغرب ، وبخاصة بين صلاح الدين الأيوبي رحمه الله ورشارد قلب الأسد ، فعقدت معاهدة بينهما سنة ١١٩٢ .

وكان العرب يراعون حرمة الرسل الأوربيين ، بخلاف ما كان يلقاه

---

(١) المرجع السابق : ص ١٢-١٣ .

(٢) السلم والحرب في الإسلام والقانون الدولي للأستاذ مجيد خدوري بالإنجليزية : ص ٢٤٣ .

رسل المسلمين لدى الغربيين من إهانة وإيذاء<sup>(١)</sup> .

وكانت هناك معاهدات في عهد صلاح الدين سنة ١٧٢م بين مصر وجمهورية البندقية ، ثم بينها وبين جمهورية فلورانس في عهد السلطان قايدباي سنة ١٤٨٨م . وانتهى الأمر بعد الحروب الصليبية بإحداث بعثات قنصلية لتوثيق الروابط السياسية والتجارية بين البلاد الإسلامية والأجنبية<sup>(٢)</sup> .

وفي العهد العثماني : تبادل الود خليفة المسلمين سليمان القانوني وملك فرنسا الكاثوليكي ( فرانسوا الأول ) وعقد معاهدات التحالف والود المسماة بمعاهدة لافوريه سنة ١٥٣٥<sup>(٣)</sup> .

وكانت هناك طوال عهد الخلافة العثمانية مفاوضات سياسية وحربية بين السلاطين العثمانيين والدول الغربية والشرقية ، وبخاصة في عهد السلطان عبد الحميد .

وحيثما ابتلي المسلمون والعرب بانقسام الدولة الإسلامية وزوال الخلافة العثمانية في سنة ١٩٢٤م ، وتسلب المستعمرين الغربيين ، ومن أجل تصفية الاستعمار ، كانت هناك مساع دبلوماسية مكثفة ومعاهدات أدت إلى أفول نجم الاستعمار البغيض . وبعد استقلال الدول العربية والإسلامية في القرن العشرين وإلى اليوم ، أدى وجود السفارات الدائمة والتمثيل السياسي المستمر إلى نشاط سياسي وتجاري ، وبخاصة بعد اكتشاف النفط في المنطقة العربية وغيرها .

---

(١) المرجع السابق : ص ٢١٧ ، رسل الملوك : ص ١٣٩ ، ١٥٣ ، تاريخ الإسلام السياسي للدكتور حسن إبراهيم ١١٢/٤ .

(٢) القانون الدولي العام للدكتور سموحي فوق العادة : ص ٣١ .

(٣) العلاقات السياسية الدولية للدكتور أحمد سويلم العمري : ص ١٨٨ .

وأدى تسلط الدول الاستعمارية إلى زرع دولة إسرائيل في فلسطين سنة ١٩٤٨ وإلى وجود حروب أربع سنة ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ ، ثم حرب الخليج سنة ١٩٩٠ ، ومحاولات أمريكا بعد هذه الحرب لفرض سيطرتها ونفوذها على منطقة الخليج وبخاصة الآن عام ١٩٩٤ ( أكتوبر ) ، وإبرام معاهدات سرية وعلنية ، سلمية وحربية ، وإلى وجود قواعد أمريكية كبرى في هذه المنطقة . وتتم الآن محاولات سلمية بين العرب وإسرائيل على نسق اتفاق مصر في كامب ديفيد بل أقل منه ، وتبرم معاهدات ، من خلال الوساطات والمساعي الأمريكية تحت مظلة الأمم المتحدة في الظاهر .

ولكن الكيان الصهيوني في هذه الآونة في عهد نتياهو رئيس الوزراء أحبط كل مفاوضات السلام وتجميد العملية السلمية . فما دور العرب والمسلمين لإنقاذ ديارهم وحفظ كرامتهم؟! .

ولكن لم يعد الغرض من السياسة العربية والإسلامية هو الدعوة الإسلامية كما كان في الماضي ، وإنما بسبب قوة الغرب وضعف العرب والمسلمين ، ومن أجل استرداد الحقوق المغتصبة ، وعقد المحالقات الودية والسرية ضد تغلغل الشيوعية من الخمسينات إلى بداية التسعينات ، ولحماية المصالح الاقتصادية ، ثم أصبحت المجالات السياسية واضحة من أجل القضايا الاقتصادية ، وهيمنة المصالح الغربية وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية في المناطق الإسلامية والعربية .

يتبين من هذا أن الإسلام يقر وجود علاقات سياسية دولية بين الدول الإسلامية وغير الإسلامية ، ومن أجل تحقيق غايات إنسانية ، أو ثقافية وتعليمية ، ومنها إنشاء المراكز والمساجد الإسلامية مثلاً ، أو اقتصادية : تجارية وزراعية وصناعية ، أو لأهداف سلمية وتعاون بين

أعضاء الأسرة الدولية المعاصرة . وينبغي إعلام العالم بحسن نوايا المسلمين في تعاونهم مع غيرهم ، وأنهم ليسوا إرهابيين كما يزعمون ، كما ينبغي أن تكون المعاملة بالمثل ، وأن تعمل الدول غير الإسلامية صادقة على جعل معاملة المسلمين قائمة على العدل والحق ورعاية حقوق الإنسان بالفعل ، وتسوية المشكلات المتعلقة بهم بمنهاج واحد وسياسة موحدة ، لا أن يكتالوا بزعامة أمريكا بكيلين . فذلك هو محض الظلم والجور ، والتناقض ، وترك المصادقية ، والتأثر برواسب التعصب والتاريخ ، والحرص على إضعاف المسلمين ، وفرض السيطرة والنفوذ عليهم ، ولا سيما بعد إعلان ننتياهو تحديه لأمريكا ذاتها وتهديده بإحراق واشنطن إذا أعلنت أمريكا أن إيقاف السلام في الشرق الأوسط بسبب إسرائيل .

#### ب- المجال الاقتصادي :

المنازعات الحقيقية في تصور غير المسلمين وبخاصة في العصر الحاضر ، أغلبها ناشئة من الصراع على تحقيق المكاسب الاقتصادية ، وجمع الثروة ، والسيطرة على مصادرها ومفاتيحها في العالم ، وتحقيق الأطماع البشرية ، وهذا واضح في قاموس الاستعمار القديم والحديث .

أما التصور الإسلامي حول الاقتصاد والعلاقات الاقتصادية : فهو نابع من خلفية أو أرضية دينية ، وهي أن هذه الأوضاع تأتي في المرحلة الثانية أو التبعية لنشر أو تبليغ الدعوة الإسلامية في أنحاء العالم ، وينبغي أن تدرس الأحوال الاقتصادية بحذر شديد من أجل الحفاظ على قوة المسلمين واستقلالهم في بلادهم وأحقيتهم في ثرواتهم . ولا مانع شرعاً من الدخول في مبادلات اقتصادية تجارية وغيرها مع غير

المسلمين ، استيراداً وتصديراً بحسب الضرورة أو الحاجة ، على ألا يمس ذلك المصالح الحساسة أو المنافع الأصلية للمسلمين .

فالإسلام هو دين الرحمة العامة بالعالمين ، وهو رفيق بالناس قاطبة ، وترفح أهله عن إلحاق الضرر بأحد ، سواء من أتباعه ، أو من غير أتباعه ، بل كانت التجارة من الأسباب المهمة في نشر العقيدة الإسلامية<sup>(١)</sup> . وتسامحت الأنظمة الإسلامية كثيراً مع التجار غير المسلمين في بلادها ، لكن وضعت قيود طبيعية على الصادرات والواردات ، اقتضتها حاجات الدفاع عن كيان المسلمين ، كمنع تصدير الأسلحة وكافة وسائل الحرب المادية ، أو أمثلها الأحكام الشرعية ، كحظر شراء واستيراد الخمر والخنزير والمخدرات ، وسائر المنكرات ، سواء من مسلم أو غير مسلم .

وهذا ما قرره جمهور الفقهاء المسلمين بما فيهم الشيعة الإمامية والزيدية<sup>(٢)</sup> . وأجاز الإمام مالك وابن حزم الظاهري<sup>(٣)</sup> . الاستيراد ومتاجرة الحربيين في بلاد المسلمين ، أما التصدير ومتاجرة المسلمين في دار الحرب ، فإنهما يمنعانها إذا كانت أحكام الحربيين تجري على التجار ، وحجتهما في ذلك أن في تصدير أي شيء إلى غير المسلمين الأعداء تقوية لهم على المسلمين ، وإن المسلم ممنوع من الإقامة الدائمة في دار الشرك أو الكفر ، لقول النبي ﷺ : « أنا بريء من كل

---

(١) الدعوة إلى الإسلام ، أرنولد ، ص ٤٥٠ ، السلم والحرب ، خدوري بالانجليزية ص ٢٢٥ .

(٢) الخراج لأبي يوسف : ص ١٩٩ ، المغني والشرح الكبير ١٠/٤٠٨ ، مفتاح الكرامة ٣٥/٤ ، البحر الزخار ٣/٣٠١ .

(٣) المدونة ١٠/١٠٢ ، المقدمات الممهديات ٢/٢٨٥ ، المحلى ٧/٣٤٩ ، ٩/٦٥ .

مسلم يقيم بين أظهر المشركين لا يتراءيا ناراهما»<sup>(١)</sup> .

أما اليوم حيث تكون حرية الأديان مكفولة عملاً بنصوص ميثاق الأمم المتحدة ، ويتمكن المسلم من ممارسة شعائر دينه في مكان إقامته ، لأن أحكام الإسلام تسري على المسلم حيث كان<sup>(٢)</sup> . فلا مانع من الاتجار والإقامة المؤقتة ، وتبادل التجارة استيراداً وتصديراً في غير الممنوع شرعاً . وليس صحيحاً اعتبار تجارة الحربيين في بلاد الإسلام من الأمور التي يضيق بها المسلمون<sup>(٣)</sup> . كل ما في الأمر أن التجارة تعتمد على قانون المعاملة بالمثل ، وإنها في الماضي بسبب صعوبة المواصلات وانغلاق المجتمعات ، لم تكن نشطة مزدهرة ، بدليل أنه ما كادت الدبلوماسية الإسلامية تقوى في القرن الثالث والرابع الهجري ، حتى كان للتجارة شأن كبير في العالم الإسلامي ، وأخذت تجارة المسلمين المكان الأول في التجارة الخارجية أو الدولية<sup>(٤)</sup> .

وقد صرح الفقهاء المسلمون بما هو ممنوع ، فقالوا : يحرم أن نبيع أو نهب أو نوصي للحربيين بكل شيء فيه تقويتهم على حرب المسلمين كحديد ، فشمّل السلاح بكل أنواعه ، حتى الدروع ، لقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَاحِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ ﴾ [محمد : ٣٥] . وزاد شراح الكنتز الحنفيون بقولهم : « إن الممنوع كل ما فيه تقويتهم على الحرب ، سواء أكان سلاحاً أم لا ، فيدخل فيه سائر أدوات النقل والحرب<sup>(٥)</sup> . وجاء

(١) رواه أبو داود والترمذي بإسناد حسن .

(٢) شرح السير الكبير ١٢٨/٤ .

(٣) السلم والحرب ، خدوري : ص ٢٢٧ .

(٤) رسل الملوك ص ١٤٨ .

(٥) البحر الرائق ٨٠/٥ ، تبين الحقائق ٢٤٧/٣ .

في الفتاوى الهندية : « ولا يباع كل ما هو أصل في آلات الحرب »<sup>(١)</sup> .  
ويكره تحريماً تملك ما له أهمية كالحرير والديباج .

ومن أجل منع تصدير هذه المحظورات تقيم الدولة حراساً على الحدود لتفتيش بضائع الأجانب ، وتوضع رسوم العشور ( العشر أو نصف العشر أو الخمس ) على ما يجوز ادخاله لبلادنا ، عملاً بمبدأ المعاملة بالمثل .

ويجوز تصدير الأطعمة وسائر الأقوات والأقمشة والأخشاب والمواد الخام غير المعدنية ، والمواد الكيماوية غير الجرثومية ، وسائر المنتجات الزراعية والصناعية غير الحربية ، بدون أي قيد<sup>(٢)</sup> .

وأجاز المالكية تصدير المذكورات إذا كانت هناك هدنة أو معاهدة مع العدو ، كأغلب الدول المعاصرة المشتركة مع المسلمين بالانضمام إلى ميثاق الأمم المتحدة ، أما في غير الهدنة أو المعاهدة فلا يجوز<sup>(٣)</sup> .

وأدلة جواز حركة التصدير كثيرة ، منها قوله تعالى :

﴿ وَيُطْعَمُونَ عَلَىٰ حَيْبِهِ مَسْكِينًا وَأَتِيمًا وَأَسِيرًا ۗ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ۗ ﴾ [الذهر : ٨-٩] .

قال الحسن البصري : كان رسول الله ﷺ يؤتى بالأسير ، فيدفعه إلى بعض المسلمين ، فيقول : « أحسن إليه » فيكون عنده اليومين والثلاثة ، فيؤثره على نفسه . وقال عامة العلماء : يجوز الإحسان إلى الكفار في دار الإسلام . وعن قتادة : كان أسيرهم يومئذ المشرك<sup>(٤)</sup> .

(١) ١٩٧/٢ وما بعدها .

(٢) الأم للشافعي ٣٢١/٧ .

(٣) فتح العلي المالک في الفتوى على مذهب الإمام مالک ٣٣١/١ .

(٤) تفسير الكشاف للزمخشري ٢٩٦/٣ .

وثبت في السيرة النبوية أن الرسول ﷺ أهدى إلى أبي سفيان تمر عجوة ، حين كان بمكة محارباً ، واستهداه أذماً . وبعث بخمسمائة دينار إلى أهل مكة حين قحطوا ، لتوزع بين فقرائهم ومساكينهم .

وروى البخاري ومسلم عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها : « قدمت علي أمي وهي مشركة في عهد قريش ، إذ عاهدوا رسول الله ﷺ يوم الحديبية ومدتهم مع أبيها ، فاستفتت رسول الله ﷺ ، فقالت : « يا رسول الله ، إن أمي قدمت علي ، وهي راغبة - أي في أن تأخذ مني بعض المال - أفأصلها؟ قال : صليها » ففي هذا الحديث جواز صلة الكافر<sup>(١)</sup> .

ومن المعروف أن صلة الرحم أمر محمود عند كل عاقل وفي كل دين ، والإهداء إلى الناس من مكارم الأخلاق ، قال ﷺ : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »<sup>(٢)</sup> .

كما أن مبدأ المعاملة بالمثل عرف معمول به في العلاقات الدولية قديماً وحديثاً ، وقد نحتاج لاستيراد حوائج معينة ، ومبادلة منتجات معينة ، فيجوز دفعاً للضرر ، فإذا منعنا تجار المسلمين من تصدير ما عدا السلاح ، امتنع غير المسلمين من تصدير ما نحتاجه نحن ، فيقع الضرر بنا .

ويجمع هذه المعاني كلها ، ويقرر القرآن الكريم مبدأ عاماً فيها ، وهو قول الله تعالى : ﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّنْ

(١) العيني شرح البخاري ١٥/١٠٤ .

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد ، والحاكم والبيهقي بلفظ : « إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق » . وفي رواية : « مكارم الأخلاق » .

دَيْرِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ [المتحنة : ٨] . قال أهل التأويل : هذه الآية تدل على جواز البر بين المشركين والمسلمين ، وإن كانت الموالاتة ( أي المناصرة ) منقطعة<sup>(١)</sup> .

والخلاصة :

إن الصلات التجارية والعلاقات الاقتصادية تظل قائمة مستمرة بين المسلمين وغيرهم ، حتى ولو كانت حالة الحرب قائمة بين الفريقين ، إلا إذا أدى التعامل أو التصدير إلى أضرار بالمسلمين ، أو خيف أن يضيق الحال عليهم ، فللحاكم المسلم أن يمنع ذلك . والعرف الدولي المعاصر يؤيد هذا الاتجاه . فيكون للدولة الإسلامية إذا رأت سياسياً قطع العلاقات التجارية مع العدو أثناء الحرب أن تفعل ذلك .

\* \* \*

---

(١) التفسير الكبير للرازي ١٣٩/٨ .

## المجال الحربي

الكلام عن الجهاد المسلح أو الحرب المشروعة في الإسلام طويل جداً ، يحتاج لبحث عميق ، كما فعلت في كتابي « آثار الحرب في الفقه الإسلامي - دراسة مقارنة » لكن الظروف الحالية تقتضي عدم الاشتغال بتفاصيل أحكام الجهاد المقررة لدى فقهاءنا ، ويكفي إيراد ما يتناسب مع الظروف الدولية المعاصرة ، لأن وضعنا اليوم مختلف ، حيث إن العنصر البشري لم يعد له الأهمية الحاسمة في الحروب الحديثة ، وتملك الدول الكبرى قوة لا تماثلها قوة المسلمين ، فنحن بالمقارنة مع التطورات الحربية الآلية الحديثة في ضعف ، والاعتراف بالحق فضيلة ، ولكن ينبغي إدراك الحقائق التالية :

- فرضية الجهاد في الإسلام وإعداد القوة المناسبة وبث الروح الجهادية ، وتنشئة الجيل وإعداده إعداداً قوياً أمر مشروع ودائم الفرضية ، ولا يجوز بحال من الأحوال تعطيل تشريع الجهاد ، لأنه ذروة سنام الإسلام ، لقوله تعالى :

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال : ٦٠] .

لكن تشريع الجهاد في الإسلام أمر استثنائي أو اضطراري لرد العدوان وحماية المصالح الإسلامية ، لقوله تعالى :

﴿ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ

وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿البقرة : ٢١٦﴾ .

- الجهاد إن لم يكن هناك نفي عام فرض كفاية على الأمة الإسلامية ، أي يفترض على جميع من هو أهل للجهاد ، لكن إذا قام به بعضهم سقط الإثم عن الباقي ، لقوله تعالى :

﴿ وَمَا كَانُ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ﴾ [التوبة : ١٢٢].

فإذا كان النفي عاماً بأن احتل بلد إسلامي ، صار الجهاد فرض عين على كل قادر من المسلمين ، الأقرب فالأقرب ، حتى يعم المشارق والمغرب ، لقوله عز وجل :

﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة : ٤١].

- ليس الجهاد طريقاً لنشر الإسلام بالقوة أو تبليغها بالسيف ، وإنما هو وسيلة لرد الاعتداء ، ودفع الظلم ، وحماية المستضعفين ، ورد العدوان عن الدعاة إلى الله ، ونحو ذلك مما تقتضيه المصلحة بتقدير الحاكم .

- تعيّر مع الأسف الهدف من إعلان الحرب أو القتال اليوم ، فلم يعد أسلوباً حركياً فاعلاً إلا لدولة كبرى في الظروف الدولية المعاصرة ، بسبب الاعتراف بالدول إقليمياً ، والانضمام إلى ميثاق الأمم المتحدة الذي يحظر اللجوء إلى القوة ، ويمنع الحرب إلا للدفاع عن النفس أو البلاد ، وأصبح الجهاد المطلوب اليوم بمعنى تحرير أجزاء البلاد الإسلامية من تسلط المستعمرين والغاصبين والمحتلين ، بسبب أن غير المسلمين يحتلون أجزاء من ديار المسلمين ، والتحرير طبعاً مقدم على ما سواه .

- والباعث على القتال في الإسلام ليس هو على الإطلاق المخالفة في الدين ، وإنما بسبب الحرابة والعدوان . كما أنه ليس الجهاد مشروعاً بحال للإكراه على الدين ، فذلك محظور في قوله تعالى :  
 ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .

- والأصل في علاقات المسلمين بغيرهم هو السلم لا الحرب ، وهو رأي جمهور العلماء ، لقوله تعالى :

﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْتَنِحْ لَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ [الأنفال : ٦١] .  
 وقوله سبحانه : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة : ٢٠٨] .  
 ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ أَلْسَلَّمَ لَسْتُمْ مَوْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [النساء : ٩٤] .

﴿ فَإِنْ اعْتَرَفْتُمُوهُمْ فَلَمْ يَقْبَلُواكُمْ وَأَلْفَوْا إِلَيْكُمْ أَلْسَلَّمَ فَأَجْعَلِ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾ [النساء : ٩٠] .

﴿ لَا يَنْهَكَهُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْبَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُم مِّن دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [المتحنة : ٨] .

والسلم : الصلح والسلام ودين الإسلام ، واللفظ يشمل جميع معانيه التي يقتضيها المقام<sup>(١)</sup> .

والسنة النبوية تؤيد هذه المعاني ، وهذا الأصل في العلاقات الخارجية ، منها قوله ﷺ : « يا أيها الناس ، لاتتمنوا لقاء العدو ، وسلوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا ، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف »<sup>(٢)</sup> . فالرسول ينهى عن الرغبة في الحرب وتمنيها حتى

(١) تفسير المنار للشيخ رشيد رضا ٢٥٦/٢ .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

مع العدو ، ويسأل الله أن يديم نعمة السلم والسلام .

أما الحرب : فهي ضرورة لدفع العدوان ، وحماية دعوة الإسلام ، والذود عن ديار المسلمين وكرامتهم وحرماتهم ، لا للغلب والقهر وإظهار النفوذ والتفوق . ومن عبارات الفقهاء في هذه المناسبة : « الآدمي معصوم ، ليتمكن من حمل أعباء التكاليف ، وإباحة القتل عارض سمح به لدفع شره » « الكفر من حيث هو كفر ليس علة لقتالهم » وقال الإمام مالك : « لا ينبغي لمسلم أن يهريق دمه إلا في حق ، ولا يهريق دماً إلا بحق »<sup>(١)</sup> .

ولم تكن معارك أو غزوات النبي ﷺ كلها وهي ( ٢٧ ) معركة إلا للدفاع عن النفس والدين وأهله ، وكان غير المسلمين من المشركين الوثنيين والروم والفرس هم المعتدين الذين أجزؤوا المسلمين للقتال .

- ومن أمثلة مشروعية الجهاد في الإسلام ثلاث حالات :

١- حالة الاعتداء على المسلمين أفراداً وجماعات ، عاديين ودعاة ، وعلى بلادهم ، وحقوقهم ، لقوله تعالى :

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة : ١٩٠] .

وهذا نص صريح محكم غير منسوخ خلافاً لما زعم بعضهم ، لأن أصل تشريع الجهاد كان لرد العدوان ، كما نصت آية :

﴿ أُوذِيَ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ [الحج : ٣٩] . وآية أخرى :

﴿ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ يَقْتُلُوهُمْ وَآخَرُوهُمْ مِن حَيْثُ أَخْرَجُوهُمْ ﴾ [البقرة : ١٩١] .

(١) اختلاف الفقهاء لابن جرير الطبري ، تحقيق شخت ص ١٩٥ .

٢- حالة نصرة المظلوم فرداً أو جماعة ، لقول الله عز وجل :  
﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا . ﴾ [النساء : ٧٥] .

وقد ناصر الرسول ﷺ قبيلة خزاعة على قريش وحليفها بني بكر بسبب اعتداء الأخيرة على الأولى ، في هدنة الحديبية ، بعد أن استنصرت خزاعة به ، وأقر النبي ﷺ حلف الفضول الإنساني السلمي المعقود بين قريش والقبائل العربية لنصرة المظلوم ، وحماية الضعيف ، من أجل موسم الحج ، وقال : « إن الإسلام لا يزيده إلا شدة » وقال أيضاً : « لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم ، ولو دُعيت به في الإسلام لأجبت »<sup>(١)</sup> .

٣- حالة نقض المعاهدة السلمية أو الإخلال بشرائطها أو تأليب الأعداء على المسلمين ، لقوله تعالى :

﴿ وَإِنْ تَكَثُرُوا مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنْتُمْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴾ [التوبة : ١٢] .

وإذا وجد المسلمون أمارات أو قرائن على خيانة العدو ، وبدء استعداده للحرب ، نقضوا المعاهدة لقوله تعالى :

﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأَنْذِرْهُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾

[الأنفال : ٥٨]

أي حتى يتساوى المسلمون وغيرهم في العلم بنقض العهد .  
ولقد عرف المسلمون أسمى آداب الحرب والقواعد الإنسانية في معاملة المحاربين ، وكانت هذه القواعد أساساً لكثير من المعاهدات

(١) السيرة النبوية لابن هشام : ١٣٣/١ وما بعدها .

الدولية في جنيف ، والقوانين الحربية ، لأنهم أصحاب رسالة إلهية دينية ، فلا غدر ولا خيانة ، ولا عدوان ، ولا اعتداء على المدنيين والحضارات ، ولا على المدنيين ، ولا تدمير ولا تخريب إلا بالقدر الضروري الذي تتطلبه الضرورات الحربية . ووصايا النبي ﷺ الإنسانية سواء في القتال أو معاملة الأسرى تعدّ مضرب الأمثال .

وهذه وصية أبي بكر الصديق رضي الله عنه لقائد جيشه يزيد بن أبي سفيان : « إني موصيك بعشر : لا تقتلن امرأة ، ولا صبياً ، ولا كبيراً هرمأ ، ولا تقطعن شجراً مثمرأ ، ولا تخربين عامراً ، ولا تعقرن شاة ، ولا بعيراً إلا لمأكلة ، ولا تحرقن نخلاً ، ولا تفرّقنه ولا تغلّ ، ولا تجبّين »<sup>(١)</sup> .

وسبب هذه القواعد الإنسانية أن الإسلام دين ونظام إنساني عالمي وواقعي ، يحتضن المثل والآداب والقيم العليا ، حفاظاً على رسالته السامية ، سواء في حال السلم أم في حال الحرب ، ولا يعامل العدو بالمثل إن صادم بأفعاله الشاذة هذه القيم . ويراعي الكرامة الإنسانية ، ويدعو إلى الإخاء ، والمحبة ، ولا يخدش فضيلة أو خلقاً إنسانياً ، وإن اخترقها العدو ، ويحرص على الرحمة العامة بجميع الناس ، ويلتزم العدالة المطلقة مع الشعوب والأفراد ، ويتجنب الظلم والدنئات ، ويحترم المعاهدات ، ويعامل بالمثل فيما لا يتصادم مع الآداب والأخلاق الإنسانية ، ولا يحرص على المغنم والمكاسب المادية .

وكل هذا يجعل العلاقات الدولية في الإسلام مثلاً عالياً يحتذى به ، ويعامل الناس معاملة كريمة تتسم بالرفق والرحمة والحكمة والعدل .

---

(١) تنوير الحوالك شرح موطأ مالك ٦/٢ .

## الخلاصة

الإسلام دين الرحمة العامة بالعالمين جميعاً ، يتميز في سلمه وحره ، وعلاقاته مع غير المسلمين بأنه خير معين للأفراد والشعوب في تحريرها ، والحفاظ على كرامتها وإنسانيتها . والسلم في الإسلام هو المطمح الأساسي وأساس العلاقات مع غير المسلمين ، والحرب ضرورة فقط .

وإذا كانت المعايير المعمول بها الآن في الوسط الدولي تتم عن الحرص على المصالح المادية والمنافع الاقتصادية ، فإن الإسلام يربأ باتباعه أن يتنزلوا لهذا المستوى ، ويؤكد على ضرورة التزام الحق والعدل والرحمة والفضيلة ، والحفاظ على صرح المدنية والحضارة ، والاحتكام إلى المنطق والعقل السليم ، والعمل على تحرير الإنسان من ألوان الذل والعبودية لغير الله تعالى ، ونشر دعوة الحق والتوحيد .

ويتطلع المسلمون إلى إيجاد المجتمع المثالي أو الفاضل ، لأن غايتهم نشر التعاليم السماوية - القرآنية التي تنشد خير الإنسان وإسعاده في الدنيا والآخرة ، وتنمية العلاقات الإنسانية على أساس من المحبة والصدق والتعاون البناء .

والدليل القاطع على هذا التوجيه : أن التشريع الإسلامي في السلم والحرب ، والعلاقات الدولية الداخلية والخارجية ، مثل واضح في رعاية الحقوق والقيام بالواجبات ، وتنفيذ العهود والالتزامات ، إلا أن غياب القيم الإسلامية عن الساحة الدولية ، كان بسبب غطرسة دول

الاستكبار العالمي في العصر الحاضر ، وحرصها على تحقيق مكاسبها الأدبية والمادية وابتعادها عن القيم الإنسانية الصحيحة إلا في حدود الشعارات البراقة ، مع تزييف الحقائق إذا كان هناك مساس بالمصالح الذاتية ، حتى الديمقراطية التي يصدرونها ويحرصون عليها تطوَّق وتُجهض كما فعلوا في الجزائر ، كما يجعل الديمقراطية وهماً كالشيوعية تماماً .

وليس مقبولاً بحال من الأحوال أن تهدر حقوق المسلمين والعرب ، وتعامل بلادهم ودولهم بنحو يتنافى مع أصول الحق والعدل والعزة والكرامة ، فيكون من حقهم الجهاد في سبيل استرداد حقوقهم المغتصبة ودحر العدوان ، وتوحيد صفوفهم للحفاظ على مقدراتهم .

ولقد شهد التاريخ الإسلامي ألواناً من التعامل مع غير المسلمين في السلم والحرب ، كانت مثلاً أعلى في الموضوعية والتجرد والإنسانية . كما كان المسلمون في تجاراتهم وعهودهم أوفى الناس ذمة ، وأحرصهم على الوفاء بالعهد ، وتنفيذ المعاهدات الخاصة والعامة ، ومما يعزز موقفنا أن غير المسلمين يقدرون قيم العروبة والإسلام في السلم والحرب العادلة ، وينصرون الحق العربي في الداخل والخارج .

وقد نقل لي الدكتور جورج جبور حينما طبع البحث خبراً عن جريدة لبنانية : أن وفداً أوروبياً سيأتي إلى سورية في أيار ١٩٩٩ للاعتذار عن مجازر الحروب الصليبية ومآسيها وعدوانها .

ولا تكاد تجد في أحكام التشريع الإسلامي في العلاقات الدولية ما يتنافى مع الأصول الصحيحة للحياة العزيزة الكريمة لكل الأمم والشعوب ، ولا ما يرفضه العقل السليم ، وتقضيه المعاملة الكريمة . ولم يكن الجهاد في الإسلام لفرض الإسلام على أحد ، وإنما كان انتشار

الإسلام بالحجة والبرهان والعقل والحكمة ، لا بالسيف والإرهاب ، لذا فإن الدول الغربية وشعوبها يخطئون إذا ظنوا أن الإسلام والمسلمين مصدر خطر عليهم ، وإنما المسلمون هم أصحاب حق في الحياة الحرة كغيرهم ، ولهم رسالة حضارية في العالم ، وليسوا أتباعاً أو عبيداً لغيرهم ، أو أجراء لتمير السياسة الغربية والمخططات الرأسمالية ، وإن كان الغرب لا يريد في الواقع إلا الأتباع فقط ، ولكن الله غالب على أمره ولو كره الكافرون .  
والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .





## المحتوى

٥	تقديم .....
٩	أفق العلاقات الدولية في الإسلام .....
١١	المجال السلمي .....
١١	أ - المجال السياسي .....
١٩	ب - المجال الاقتصادي .....
٢٥	المجال الحربي .....
٣١	الخلاصة .....
٣٥	المحتوى .....